ISSN 2278 – 764X

قسم العربية، جامعة كاليكوت، كيرالا

مجلّة كاليكوت
KALIKOOT

المجلد الثالث، العدد الثاني، يناير ٢٠١٣

- دور القنوات الفضائية العربية في هندسة الواقع والسلوك اللغوي
- أثر النقد الغربي في النقد العربي الحديث
- تصوير الأقصوصة الطريفة في الشعر المهجري
- النقد الأدبي النسائي في مصر

المجلّد الثالث – العدد الثاني : يناير ٢٠١٣

مجلّة كاليكوت
KALIKOOT

ربع سنوية تصدر عن قسم اللغة العربية، جامعة كاليكوت، كيرالا، الهند

هيئة التحرير

رئيس التحرير
د. ن. أ. محمد عبد القادر

مدير التحرير
د. أ. ب. محي الدين كوتي

المحرر التنفيذي
عبد الرحمن كوتي

المحرر
د. إ. عبد المجيد

الدعم الفني
عبد الجليل برنتلمنا

Chief Editor
Dr. N.A. Muhammmed Abdul Kader

Associate Editor
Dr. A.B. Moideen Kutty

Executive Editor
Abdu Rahiman Kutty Mullappally

Editor
Dr. E. Abdul Majeed

Technical Support
Abdul Jaleel Perinthalmanna

مراسلات

البريد الالكتروني:
deptarabic@hotmail.com
cuarabicjournal@gmail.com
موقع الجامعة على الانترنت:
www.universityofcalicut.info

Editor,
KALIKOOT
Dept. of Arabic
University of Calicut
P.O, Calicut University.
Pin: 673635
Malappuram, Kerala, India

kalikoot
11201022

ISSN 2278 – 764X

قسم العربية بجامعة كاليكوت في سطور

تأسيس : عام ١٩٧٤م

االرئيس المؤسّس – الأستاذ الدكتور/ سيد احتشام أحمد الندوي (١٩٧٤م – ٢٠٠٠م)

الرئيس الثاني – الأستاذ الدكتور/ ئي. ك. أحمد كتي (٢٠٠٠ – ٢٠٠٣)

الرئيس الثالث– الأستاذ الدكتور/ ك. م. محمد (٢٠٠٣– ٢٠٠٥)

الرئيس الرابع – الأستاذ الدكتور/ أحمد إبراهيم رحمة الله (٢٠٠٥–٢٠٠٧)

الرئيس الخامس – الأستاذ الدكتور/ ن. ا. محمد عبد القادر (٢٠٠٧ . ٢٠٠٩)

الرئيس السادس – الأستاذ الدكتور/ أحمد إبراهيم رحمة الله (٢٠١٠ – ٢٠١١)

الرئيس السابع – الأستاذ الدكتور/ ن. ا. محمد عبد القادر (٢٠١١ –)

أعضاء هيئة التدريس المتقاعدون

الدكتور/ أحمد إسماعيل لبّا

الأستاذ الدكتور/ ك. و. فيران محي الدين

الأستاذ الدكتور/ وي. محمد

الأستاذ الدكتور / أحمد إبراهيم رحمة الله

هيئة التدريس الحالية

١ الدكتور/ ن .ا. محمد عبدالقادر (أستاذ ورئيس القسم)

٢ الدكتور/ ا. ب. محي الدين كوتي (أستاذ مشارك)

٤ الدكتور/ إ. عبد المجيد (أستاذ مساعد)

الدورات

دكتوراة الفلسفة (**Ph.D**)

ماجستير الفلسفة (ما قبل الدكتوراه) (**M.Phil**)

ماجستير في الأدب العربي (**M.A**)

دبلوم في الترجمة والسكرتيرية

دبلوم في التجارة والإدارة في العربية

دورة شهادة في العربية الشفوية

في هذا العدد

الافتتاحية قتلوا أعز أبناء الإنسانية في العالم، لماذا؟	رئيس التحرير	٤
موضوع الغلاف		
دور القنوات الفضائية العربية في هندسة الواقع والسلوك اللغوي	د/ أجقو علي، دربدي وفاء	١٠
أثر النقد الغربي في النقد العربي الحديث	د/ محمد نجم الحق الندوي	٣٩
تصوير الأقصوصة الطريفة في الشعر المهجري	د/ أبو الرضا محمد نظام الدين الندوي	٥٢
النقد الأدبي النسائي في مصر	د/ شمناد	٦٦
الدراسات والأبحاث		
مؤامرات الاستعمار ضد العربية ومناهضة الشعر العربي لها	عبد الرحمن كوتي.م.ك.	٨٨
أسرة النوائط وخدماتها للأدب العربي	د/ عز الدين	١٠١
المناحي العامة في فلسفة الغزالي	عبد اللطيف ب. ب	١٢٠
عبد الرحمن رأفت باشا وآثاره الأدبية والنقدية والعلمية	أنور شافي. سي	١٣١
الاتجاه السياسي في الروايات السعودية: شقة الحرية نموذجا	زين العابدين ب. ك	١٤٣
نبيل سليمان السوري: روائي المهمشين والمحرومين	أبو طاهر	١٥٠
بحوث من قسم العربية		١٥٩
تقريرات		١٦٠

أثر النقد الغربي في النقد العربي الحديث

د/ محمد نجم الحق الندوي[١]

من المعلوم أن أحدا لا يستطيع تجاهل الدور الكبير الذي يؤديه النقد الأدبي في عملية الخلق الأدبي وتطويرها. فإذا كانت العملية الأدبية سلسلةً تتألف من حلقات عديدة تتمثل في المبدع والنص والقارئ، فإن النقد الأدبي يؤثر في جميع هذه الحلقات، وعمليات التفاعل التي تحدث فيما بينها.

هذا يعني أن النقد الأدبي يواكب الأدب في علاقة حوارية يتم في خلالها تلقي معرفةٍ وإنتاجُ معرفةٍ في الوقت نفسه. وقد فطن أجدادنا العرب إلى أهمية النقد، لكن هذا النقد لم يصل أيام الجاهلية إلى مستوى النص الشعري الذي كان ناضجاً مكتملاً، منسجمَ التفاعيل، مؤتلفَ النعم. وخير مثال نجده في كتب التراث ما يحكي عن القبة الحمراء التي كانت تضرب للنابغة الذبياني في سوق عكاظ كل عام من أجل الاستماع إلى الشعراء الذين يرغبون في عرض شعرهم. وهذا ما كان عند أنشده الأعشى مرة، ثم تلاه حسان بن ثابت وشعراء آخرون إلى أن وصل إلى الخنساء التي أنشدته قصيدتها في رثاء أخيها (صخر) التي منها:

وإن صخراً لتأتم الهدأةُ به * كأنه علم في رأسه نار

فأعجب النابغة بالقصيدة وقال لها لولا أن أبا بصير . يعني الأعشى . أنشدني، لقلت إنك أشعر الجن والأنس.

فالأعشى إذن أشعر الذين أنشدوا النابغة، وتليه الخنساء منزلة وجودة شعر[٢].

وسواء كانت هذه القصة صحيحة أم لا، فإنها تعبر بصورة عامة عن روح النقد الذي كان سائداً في العصر الجاهلي والقائم على الانفعال والتأثر المباشر والسريع بوقع الكلام. يقول السيد قطب: "بدأ النقد تذوقاً محقاً، لا يتعدى التذوق إلى التعليل، ولا

[١] الأستاذ ومدير معهد اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، شيتاغونغ، dmnhnadwi@yahoo.co.in

[٢] طه أحمد إبراهيم،تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دمشق، دار الحكمة، ١٩٧٢، ص ١٩

يتجاوز المرحلة التأثيرية البحتة، يظل كتاب ابن سلام طبقات فحول الشعراء من أهم ما كتب في النقد الأدبي عند العرب،لصحة الذهن ونفاذ البصر في القول.

فكان الرجل يسمع البيت من الشعر أو الأبيات، فيمنحها إعجابه أو يقابلها باستهجانه ثم لا يزيد شيئاً، وقد شغلت هذه المرحلة أيام الجاهلية كلِّها وصدرَ الإسلام."[١]

وهنا لابد من طرح سؤال مهم هو لماذا لم يصل النقد العربي في هذه الحقبة إلى مستوى الشعر مثلما حدث عند اليونان؟ لقد قامت مدارس النقد الحديث في أوربة على أساس مذهب أرسطو في النقد كما تمثل كتابيه فن الشعر والخطابة. لا نريد هنا تفسير هذه الظاهرة ولكنها جديرة بالملاحظة والتفسير.

بدأ النقد العربي إذن بأحكام عامة سريعة موجزة لا تحمل تعليلاً، ودون أن تقوم على أسس موضوعية. ولكن بعد مرحلة صدر الإسلام التي شهدت تراجعاً في مكانة الشعر، عادت الحركة النقدية إلى التطور في القرن الهجري الثاني وذلك بفعل النضج الثقافي والأدبي الكبير بعد الفتوحات الإسلامية التي أخرجت العرب من الجزيرة العربية، واحتكاكهم بالأمم المجاورة. ومن أِشهر الأسماء في هذه الحقبة خلف والأصمعي، وأبو زيد، وأبو عبيد، وأبو عمر بن العلاء. وأبو العلاء سالم مولى هشام، وعبد الحميد الكاتب، وسهل بن هارون وولداه الحسن والفضل، ويحيى البرمكي وأخوه... وغيرهم.

لكن النقد العربي لم يقف عند هذه المرحلة، فقد حاول أن يتجاوز المرحلة التأثرية إلى المرحلة التعليلية، وحاول أن يضع قواعد وأصولاً للنقد لم تخرج في الغالب عن حدود النهج الفني. وهذا ما يظهر في كتابات ابن سلام، والجاحظ، وابن قتيبة، والمبرد، وثعلب، وابن المعتز. على أن أهم كتابين في النقد في هذا القرن يعودان إلى ابن سلام وقتيبة. فقد حاول ابن سلاّم في كتابه (طبقات الشعراء) شرحَ الشعر العربي وأثره ونشأته وتطوره وتنقله في القبائل وانتحاله، ثم يذكر طبقات الجاهليين الشعر وشعراء المراثي، وشعراء القرى العربية، كما يذكر طبقات الإسلاميين العشر جاعلاً في كل طبقة أربعة من الشعراء. يقول طه أحمد إبراهيم: "يظل كتاب ابن سلام... من أهم ما كتب في النقد الأدبي عند العرب. ويظل ابن سلام من أجلاء النقد صحة ذهن، ونفاذَ بصر بما بسَّط من القول، وأوضح من الدلائل وبينَ من العلل، فقد وصل ما أصّله الأدباء واللغويون، وتناوله تناولاً حسناً، وزاد عليه زيادات قيمة. ففي كتابة صورة لحياة النقد منذ نشأت في الجاهلية إلى أوائل القرن الثالث، وصورة للأذواق المختلفة، والأذهان

[١] سيد قطب، النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، دون مكان الطبع وتاريخه، ص ١٣١

المختلفة التي خاضت فيه."[١] أما كتاب ابن قتيبة (الشعر والشعراء) فلا يقل أهمية عن كتاب ابن سلام خاصة المقدمة التي يقدم فيها دراسة موسعة للشعر وأقسامه وعناصره وللطبع وللصنعة فيه، وللخصومة بين القدماء والمحدثين، ولدواعي الشعر ونظمه وأسباب اختلاف شعر الشاعر.

أما الكتابُ فمظهر لثقافة واسعة، وفيه عرض لنحو مئة وستين شاعراً من الجاهليين والمخضرمين "كتاب الخطابة" لأرسطو ترجمة إسحاق بن حنين في النصف الأخير من القرن الثالث وقرأه العلماء وقرأه قدامه بن جعفر. والإسلاميين منهم بعض النساء الشاعرات كالخنساء، وليلى الأخيلية .وعلى الرغم من ذلك يبقى كتاب الشعر والشعراء بعيداً عن التعليل إذ أن أحكامه بقيت موجزة سريعة مثل: "لم يقل أحد في الهيبة أحسنَ منه، لم يبتدئ أحد مرثيةً بأحسن منه، حدثني الرياش عن الأصمعي أنه قال: هذا أبرع بيت قالته العرب..". إلى جانب هذه الأسماء الكبيرة في تاريخ النقد العربي نشأت طبقة من المفكرين والمثقفين الذين تثقفوا بثقافات أجنبية واسعة، وتأثروا بآداب الأمم الأخرى، وترجموا آراءهم في البيان ومناهجه إلى اللغة العربية. وهؤلاء عاشوا في البيئة الإسلامية، وأثروا في النقد والأدب والبيان ودراسته وتطورِه تأثيراً كبيراً. وأهم عمل علمي قامت به هذه الطبقة هو ترجمة كتابي (الخطابة، وفن الشعر) لأرسطو. فقد قام إسحاق بن حنين (م ٢٨٩ هـ) بنقل كتاب الخطابة، لأرسطو الذي نقله إبراهيم بن عبد الله أيضاً، وفسره الفارابي. أما كتاب (فن الشعر) فقد اختصره الكندي، وترجمه إسحاق أيضاً. ونقله يحيى بن عدي ومتى بن يونس في القرن الرابع من السريانية إلى العربية.[٢]

مهدت هذه الترجمات لظهور بعض النقاد الذين حاولوا في القرن الهجري الرابع، تطبيق مبادئ النقد الأرسطو على الشعر العربي مثل قدامة بن جعفر في كتابيه نقد الشعر ونقد النثر. "فقد ترجم كتاب الخطابة لأرسطو في النص الأخير من القرن الثالث، ترجمه إسحاق بن حنين، وقرأه العلماء، وقرأه قدامة بن جعفر، وانكب عليه انكبابا، وعمل على الانتفاع بأصوله ورسومه في نقد الشعر العربي."[٣] ومن أعلام القرن الرابع في النقد الحاتمي صاحب (الرسالة الحاتمية) في نقد شعر المتنبي وبيان سرقاته من حكمة أرسطو، والحسن بن بشر الآمدي صاحب الموازية بين الطائيين، وعلي بن

[١] طه أحمد إبراهيم،تاريخ النقد الادبي عند العرب، ص ٧٨
[٢] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، بتحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٣٨
[٣] طه أحمد إبراهيم،تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ١٢٥

عبد العزيز الجرجاني صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه، وابن وكيع صاحب المنصف في سرقات المتنبي، وأبو بكر "الباقلاني مؤلف إعجاز القرآن، وأبو فرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني. هذا التطور الذي شهده القرن الرابع تصاعد في القرن الخامس على يدي عبد القاهر الجرجاني الذي حاول أن يضع قواعد فنية للبلاغة والجمال الفني في كتابه (دلائل الإعجاز)، مثلما حاول أن يضع قواعد نفسية للبلاغة في كتابه أسرار البلاغة، وهو صاحب نظرية النظم التي تقول بأن ترتيب المعاني في الذهن هو الذي يقتضي اللفظ الذي يجاوره في النظم، وأن الجمال الفني رهين بحسن النسق أو حسن النظم، كما أنه لا اللفظ منفرداً موضعُ حكم أدبيّ، ولا المعنى قبل أن يعبر عنه في لفظ، وإنما هما باجتماعهما في نظم يكونان موضع استحسان أو استهجان.[١]

ابن رشيق صاحب كتاب العمدة عاصر عبد القاهر الجرجاني حيث اجتمع النقد الأدبي والبلاغة مع أشياء في تاريخ الأدب وأقوال القدماء والمحدثين ونوادرهم. هناك مؤلف آخر عاصر عبد القاهر الجرجاني هو ابن رشيق القيرواني. صاحب كتاب (العمدة) الذي يجمع فيه بين النقد الأدبي والبلاغة، مع أشياء في تاريخ الأدب وأقوال القدماء والمحدثين ونوادرهم.

وهكذا وصل النقد العربي في القرن الخامس للهجرة إلى مستوى متطور وأصبح علماً مثلما نرى عند قدامة بن جعفر وعبد القاهر الجرجاني. على الرغم من ذلك لم يصل النص النقدي العربي القديم، في أي عصر من عصوره، إلى مستوى النص الإبداعي المتمثل خاصة في النص الشعري.

هذه هي الصورة التي توقف عندها النقد العربي في القرن الهجري الخامس قبل أن يدخل الفكر العربي في حالة من الجمود والشلل استمرت عدة قرون، وبعد فترة الانقطاع الطويلة استيقظ العقل العربي على عامل تغيرت فيه موازين القوى بعد أن أصبحت أوربة سيدة العامل دون منازع. وكان لحملة نابليون على مصر (١٧٩٨ . ١٨٠١) فعل الزلزال الذي هز أركان المجتمع العربي الغارق في سباته. وكان على الفكر العربي أن يعيد بناء ما تهدم في كل المجالات. وكانت الخطوات الأولى والأهم هي إعادة بناء البنية الثقافية والفكرية لأنها منطلق الدخول في العالم الحديث. لكن السؤال الذي واجهه جيل الرواد :هو على أي أسس سيعاد يناء الحياة الثقافية العربية

[١] سيد قطب، النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، ص ١٤٠

الجديدة؟ هناك من يرى ضرورة العودة إلى التراث، وآخرون دعوا إلى الاستفادة من علوم الغرب للنهوض بالحياة العربية. فهذا رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١ . ١٨٧٣)، يرى مع بعض زملائه المثقفين المصريين "أن الثقافة الأزهرية وحدها لم تعد تتلاءم مع ظروف عصرهم وأحسوا بضرورة دعوة مواطنيهم إلى الاستفادة من علوم الغرب"[١]

وما ينطبق على الفكر ينطبق على الأدب الذي يمثل جزءاً مهماً من البنية الثقافية، لأن تاريخ الأدب جزء من التاريخ العام. وإن كان علم التاريخ العام يقوم على دراسة النتاج المادي للإنسانية، فإن التاريخ الأدبي يعني أساساً بدراسة النتاج العقلي، خاصة ذلك النتاج الذي يسجل الحياة الشعورية الوجدانية لعصر من العصور، أو لشعب من الشعوب.

كان على جيل الرواد من النقاد العرب إذن الاختيار بين الاكتفاء بالتراث النقدي أو الاستفادة من المناهج النقدية الغربية. أما التيار الأول فقد قدم طروحات تتعلق ببناء مشروع نقدي عربي، مستقل نسبياً، عن التيارات النقدية الغربية ومتواشج مع التراث النقدي العربي القديم. مثلما فعل حسين المرصفي في كتابه (الوسيلة الأدبية) ومصطفى صادق الرافعي في (تاريخ آداب العرب)، وجرجي زيدان في (تاريخ آداب اللغة العربي). فلو نظرنا إلى كتاب كان على جيل الرواد من النقاد العرب الاختيار بين الاكتفاء بالتراث النقدي أو الاستفادة من المناهج الغربية النقدية.

المرصفي لوجدناه يقسم الشعراء إلى ثلاث طبقات وذلك وفق العصور التاريخية. وضع في الطبقة الأولى الشعراء العرب الجاهليين والإسلاميين من المهلهل إلى بشار بن برد، وفي الطبقة الثانية وضع الشعراء المحدثين الذين كانوا يحرصون على موافقة العرب ويجتهدون في سلوك طرائقهم من أبي نواس إلى ما قبل عبد الرحيم المعروف بالقاضي الفاضل، أما الطبقة الثالثة فقد تركها للشعراء الذين غلب عليهم استعمال النكات والإفراط في مراعاة البديع وهم من القاضي الفاضل إلى هذا الوقت.[٢]

وهذا يشبه ما فعله المرزباني (القرن الرابع الهجري) في كتابه الموشح، وابن رشيق القيرواني، (القرن الخامس) في كتابه العمدة. أما التيار الثاني فكان يرى أن الواقع العربي الجديد يتطلب بالضرورة أيضاً، جديداً في مجال الأدب والنقد، وفي أدوات تعبيرهما، كما يتطلب بالضرورة أيضاً، جديداً في رؤيتهما، وفي فكرهما: فالنص

[١] عبد المحسن طه بدر،شطور الرواية العربية الحديثة في مصر، القاهرة، دار المعارف، ص ٢٠
[٢] حسين المرصفي، الوسيلة الأدبية، القاهرة، ج ٢، ص ٥٠٣

الإبداعي العربي دخل مرحلة جديدة، ويبحث عن أشكال تعبير جديدة فرضتها الحياة المعاصرة، ضمن دائرة الحداثة الغربية، ولهذا فإن قراءته، في ضوء النقد العربي القديم، ستكون متعسفة. وبدأ الناقد يواجه أجناساً أدبية لم تعرفها الثقافة العربي القديمة، لها بنيات متميزة، تُقرأ بالاعتماد على مفاهيم ومصطلحات خاصة بها. فكيف يمكن في هذه الحالة، أن نقرأ، في ضوء النقد العربي القديم نصوصاً مسرحية وروائية وقصصية متأثرة بالآداب الغربية؟ وكيف يمكن أن نقرأ الشعر العربي الحديث في ضوء القواعد التي وضعها النقد الغربي ويتسلح ببعض أدواته المعرفية التي تطورت تطوراً كبيراً بفعل تطور العلوم الحديثة، كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم المعاني والدلالات.. وغير ذلك. صحيح أننا نجد في بعض الآثار النقدية العربية القديمة بعض الإشارات التي توحي بالربط بين النفس الإنسانية والأدب، أو بين بيئة شاعر وشعره مثلاً، إلا أن هذه الإشارات لا ترقى إلى مستوى المبادئ والنظريات المستخدمة في العصر الحديث من قبل بعض النقاد العرب. وهكذا تأثرت قواعد "النقد العربي، منذ بداية القرن العشرين، بالتيارات الغالبة في أوربة، فظهر كتاب طه حسين (في الأدب الجاهلي) متأثراً بفلسفة ديكارت، كما ظهر للعقاد كتاب (ابن الرومي، حياته وشعره) وكتاب آخر عن أبي نواس، متأثراً بالمباحث التاريخية والبيولوجية والسيكولوجية. وشكل العقاد إلى جانب إبراهيم عبد القادر المازني وعبد الرحمن شكري مدرسة الديوان التي تأثرت بالرومانسية الغربية من النقد. ويرجع تأثر العقاد وجماعة الديوان بالمدرسة الرومانسية في الشعر والنقد إلى علاقاتهم بهازلت وبقية جماعة النبوءة والمجاز

"وأعتقد أن هذه الكلمة "التأثر" تصف واقع الأمر، ولا تحرم جماعة الديوان من صفة الابتكار، وهي تعني في الوقت نفسه وجود الصلة بين هذه الجماعة والرومانتيكيين، واستفادة جماعة الديوان من هذه الحركة العالمية وبخاصة في صورتها في إنجلترا؟"[١]

أما طه حسين في كتابه (في الأدب الجاهلي) فتأثر بفلسفة ديكارت. كما تأثر العقاد بالمباحث التاريخية والبيولوجية والسيكولوجية ويصرح العقاد عن تأثره مع زملائه في مدرسة الديوان وغيرهم بالمذاهب الأوربية في الشعر والنقد فيقول: "فالجيل الناشئ، بعد شوقي كان وليد مدرسة لا شبه بينها وبين من سبقها في تاريخ الأدب العرب الحديث، فهي مدرسة أوغلت في القراءة الإنجليزية ولم تقتصر قراءتها على أطراف من الأدب الفرنسي كما كان يغلب على أدباء الشرق الناشئين في أواخر القرن الغابر،

[١] محمود ربيعي، في نقد الشعر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨، ص ١٧٥

وهي على إيغالها في قراءة الأدباء والشعراء الإنجليز لم تنس الألمان والطليان والروس والإسبان واليونان واللاتين الأقدمين، ولعلها استفادة من النقد الإنجليزي فوق فائدتها من الشعر وفنون الكتابة الأخرى، ولا أخطئ إذا قلت إن هازلت هو إمام هذه المدرسة كلها في النقد لأنه هو الذي هداها إلى معاني الشعر والفنون وأغراض الكتابة ومواضع المقارنة والاستشهاد[١].

وإذا عدنا إلى كتابيه اللذين أشرنا إليهما عن ابن الرومي وأبي نواس لوجدنا العقاد يستخدم المنهج النفسي في قراءة شعر هذين الشاعرين، لأنه كان يعتبر أن الأدب ترجمان العقل والنفس، والأديب في كل ما يصدر عنه من نشاط أدبي يستلهم تجاربه العقلية والنفسية، ولهذا فالأدب بعبارة أخرى، مرآة عقل الأديب ونفسه. ولهذا من الضروري إماطة اللثام عن العلاقة بين النفس الإنسانية والأدب والعوامل اللاشعورية التي أدت إلى إنجازه .فالتأمل في العمل الأدبي يتيح لنا التوغل بعيداً في نفسية المبدع. ونرى العقاد يقول في خاتمة كتابه عن أبي نواس: "هذه الرسالة ـ كما يرى القارئ من عنوانها ومحور بحثها مقصورة على الدراسة النفسية لا ترمي إلى ترجمته أو نقد أدبه وشعره ولا تمس وقائع الترجمة أو شواهدَ الأدب والشعر إلا لما فيها من الإبانة عن طبيعته والإعانة على تفسيرها واستطلاع كوامنها"[٢]

هذا الكلام لا يبتعد كثيراً عن كلام طه حسين في دراسته لأبي العلاء المعري "ليس الغرض في هذا الكتاب أن نصف حياة أبي العلاء وحده، وإنما يريد أن ندرس حياة النفس الإسلامية في عصره، فلم يكن لحكيم المعرة أن ينفرد بإظهاره آثاره المادية أو المعنوية. وإنما الرجل وماله من آثار وأطوار نتيجة لازمة، وثمرة ناضجة، لطائفة من العلل اشتركت في تأليف مزاجه، وتصوير نفسه، من غير أن يكون له عليها سيطرة أو سلطان."[٣]

أما عن استفادة طه حسين من منهج ديكارت في كتابه عن الشعر الجاهلي وفي كتبه الأخرى فيتمثل بتلك النزعة العقلانية التي تريد أن تخضعَ كل الظواهر الفكرية للتمحيص والنقد العقلين، ومن ناحية التاريخ الأدبي فقد استفاد طه حسين من هذا المنهج في امتلاك تلك النظرة النقدية العقلية التي وضعت علم القدامى كله موضع

[١] عباس محمود العقاد، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٠، ص ١٧٢ ـ ١٧٣

[٢] عباس محمود العقاد، أبو نواس الحسن بن هانئ، دراسة في التحليل النفسي والنقد التاريخي، القاهرة، مطبعة الرسالة ١٩٣٣، ص ١٩٧

[٣] طه حسين، الأعمال الكاملة، المجلد العاشر، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٤، ص ١١

التجربة والاختبار. بالإضافة إلى هذه المؤثرات يذكر طه حسين أثر بعض الأساتذة الطليان الذين طبعوا حياته العقلية بطابع النقد الحديث. من هؤلاء نالينو الذي عمق فهم طه حسين في دراسة الآداب وردها إلى مصادرها الأولى من المؤثرات ، يقول طه حسين عن مؤثرات نالينو: فمن الطبيعي أن يحدث في نفوسنا أعمق الآثار و أبعدها مدى وأن يطبع حياتنا العقلية بطابع حياتنا العقلية بطابع النقد الحديث.أما الحياة الاجتماعية والسياسية فكما دفعه إلى البحث عن أصل كل جنس من الفنون الأدبية وعن كيفية نموه أو انحطاطه وعن تأثير الأدباء بعضهم في بعض.[١]

يقول طه حسين عن مؤثرات نالينو: "فمن الطبيعي أن يحدث في نفوسنا أعمق الآثار وأبعدها مدى وأن يطبع حياتنا العقلية بطابع النقد الحديث. وليس من شك أن حقائق التاريخ الأدبي العربي قد تغيرت منذ ذلك الوقت في كثير من أنحائها."[٢] كما يعترف طه حسين بفضل المستشرق الإيطالي (سانتلانا) أستاذ الفلسفة الإسلامية في توجيه النهضة الفكرية لجيله.

هكذا نرى أن جيل الرواد من النقاد العرب حاولوا تجديد المناهج النقدية الأدبية عن طريق اتصالهم الوثيق بالثقافة الغربية وإطلاعهم العميق على مناهج البحث في الدراسات الأدبية الأوربية الحديثة، ولم يغفل هؤلاء الرواد في لحظة اتصالهم بالثقافةالأوربية، عن النظر في القيم الثقافية القومية، بل نراهم وهم يبذلون أقصى جهودهم فيتطوير هذا التراث القومي والعمل على توثيقه لربطه بالمجرى العام للثقافة الإنسانية لأنهم كانوا مقتنعين بأهمية ما يفعلونه من أجل تعريف العالم بأدب متجدد يستطيع أن يواكب المتغيرات العالمية. فلم تكن النهضة إذن إلا شعوراً بالقلق الجّم لم يستيقظ فيجد نفسه متخلفاً عن الركب. ولأول مرة يتعرض الأدب العربي القديم للبحث والتدقيق ولاشك في القيم التي توارثتها الأجيال المختلفة بالاعتماد على أدوات فنية غربية بعد أن بدا النقد العربي القديم عاجزاً عن القيام بهذه المهمة الصعبة لأنه كان يقوم في كثير من الأحيان على مجموعة من الانطباعات اليسيرة التي طغت عليها محاولات البلاغة اللفظية والأحكام الجاهزة دون تعليل.

ولم يقتصر هذا الأمر على الدراسات النقدية في مصر بل امتد إلى المغرب العربي والمشرق وبلاد الاغتراب التي تواجد فيها المهاجرون العرب. فتأسست الرابطة القلمية

[١] د. عبد السلام الشاذلي، الأسس نظرية في مناهج البحث الأدبي العربي الحديث، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٩، ص ٣٢٦

[٢] طه حسين، مقدمة كتاب كارلونالينو،شاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية، دار المعارف، ١٩٥٤، ص ١٣

في المهجر الشمالي التي تبنت مثل مدرسة الديوان المذهب الرومانسي في الأدب والنقد. وكان تأثر أعضاء هذه الرابطة بالاتجاهات النقدية الغربية الحديثة مباشراً بسبب تواجدهم في البلدان الأجنبية. وأهم عمل نقدي لأعضاء هذه الرابطة هو (الغربال) لميخائيل نعيمة الذي صدر في القاهرة عام ١٩٢٣، وهو عبارة عن مجموعة مقالات نُشرت في مناسبات متفرقة يدعو نعيمة من خلالها إلى تحطيم المقاييس الأدبية القديمة، والدعوة إلى مقاييس جديدة في فهم الأدب وتقويمه. وخلال هذه الحقبة ظهر نوع جديد من الدراسات النقدية القائمة على المقارنة بين الأدبين العربي والأوربي، ومستفيدة من تطور الأدب المقارن في أوربة مهد هذا الفرع المعرفي الجديد، مثل "تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفكتور هوغو" لروحي الخالدي، و"منهل الورّاد في علم الانتقاد" للناقد، وجيل الرواد من النقاد العرب حاولوا تجديد المناهج النقدية الأدبية عن طريق اتصالهم الوثيق بالثقافة الغربية.

السوري قسطاكي الحمصي الذي خصص الجزء الثالث من هذا الكتاب للحديث عن رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، والكوميديا الإلهية للشاعر الإيطالي دانتي.

مما لاشك فيه أن الدراسات المقارنة العربية، خاصة في جانبها التطبيقي، قد تطورت تطوراً كبيراً بعد هذه المرحلة، ولكن المهم، بالنسبة لبحثنا، هو التأكيد على استفادة النقاد العرب من المنهج المقارن. في الدراسات الأدبية، هذا المنهج الذي ولد في فرنسا عام ١٨٢٨ على يدي آبيل فيلمان، ويقوم، وفق جهة النظر الفرنسية على دراسة التأثر والتأثير بين الآداب. أي دراسة الصلاة التاريخية التي يمكن أن تنشأ بين آداب مختلفة اللغة.

أما المدرسة الأميركية في الأدب المقارن، والتي نشأت بعد المحاضرة التي ألقاها رينيه ويلك بعنوان "أزمة الأدب المقارن" (١٩٥٨) فترى ضرورة دراسة الظاهرة الأدبية في شموليتها بالاعتماد على التشابه الذي يمكن أن يوجد بين الآداب.

إن دخول هذا النوع من الدراسات إلى النقد العربي يعني الرغبة في وضع الأدب العربي جنباً إلى جنب من سائر آداب العالم من أجل اكتشاف الذات.

إن هذه التغيرات التي طرأت على النقد العربي الحديث، لم تسهم، على الرغم من أهميتها، في تكوين خلفية معرفية ضرورية لتكوين نظريات نقدية عربية. وهكذا بقي

النقد العربي متأثراً بالمتغيرات النقدية الغربية. يرى الدكتور محمد مندور "أن منهج الدراسة الأدبية لم يتبلور بعد في بلادنا العربية ولا رسمت خطط ومذاهب."[١]

وفي ظل عدم تحقيق التراكم المعرفي، أو في ظل العجز عن استفادة من المناهج النقدية الحديثة في تطوير النقد العربي القديم، بقيت الساحة العربي تستقبل كل ما يصدره لنا الغرب دون القدرة أحياناً على فرز الغث من السمين. هكذا انتشر مذهب الواقعية الاشتراكية في الأدب والنقد في العالم العربي بعد أن أصبح المذهب الأدبي الرسمي للاتحاد السوفياتي منذ عام ١٩٣٢."

إن المكان الذي احتفظت به الستالينية للقوميات والثقافات القومية جعل الواقعية الاشتراكية أكثر قبولاً لدى الوطنيين القوميين العرب. فكل مذهب حداثي آخر كان يشي بمنبته الأوربي وينذر بمسخ الطابع القومي والروح القومية"[٢] وتبنى قسم كبير من النقاد العرب هذا المذهب الجديد ورفعوا شعارات "الأدب الهادف، والأدب الملتزم " وطالبوا بأن يكون العلم الأدبي ذا مضمون تقدمي يُناصر قضية العمال. وكان لهذا الموضوع مجالُه الواسع في نقد الرواية والمسرحية والقصة القصيرة وهي فنون أصبح لها رواج كبير بسبب زيادة عدد القراء والمثقفين. وقدرة هذه الفنون على التعبير عن المشاكل المعاصرة بصورة أفضل من الشعر. انتشر مذهب الواقعية الاشتراكية في الأدب والنقد في العالم العربي بعد أن أصبح المذهب الرسمي للاتحاد السوفيتي منذ عام ١٩٣٢.

رافق انتشار الواقعية الاشتراكية في الوطن العربي، انتشار الأفكار الوجودية التي أسهمت مجلة (الآداب) البيروتية في تعريف القارئ العربي عليها منذ أوائل الخمسينيات. وكانت الرواية والمسرحية مطية الوجوديين لنشر أفكارهم. لابد إذن من إفراد هذا الأدب بقواعد نقد خاصة به تتمشى مع أدواته وطبيعته وموضوعاته، وطريقة استخدام الأدوات، وطريقة تناول الموضوع والسير فيه.

إلى جانب مجلة الآداب، وُجدت مجلة بيروتية أخرى هي مجلة (شعر) تدعو إلى الحداثة في الأدب والنقد. وكان أدونيس ويوسف الخال من أشهر أعلامها الذين دعوا

[١] محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، القاهرة، مطبعة نهضة مصر، دونشاريخ، ص ١٤٧
[٢] شكري عياد، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، الكويت، عالم المعرفة، عدد ١٧٧، ١٩٣٣، ص ٢٣

صراحة إلى تبني المقاييس الغربية في دراسة الأدب العربي قديمه وحديثه. يقول أدونيس: "وكما أننا نعيش ومذاهب أدبية. ابتكرها، هي أيضاً، الغرب"[١].

أما يوسف الخال مؤسس مجلة (شعر) فيدعو إلى "وعي التراث الروحي . العقلي العربي وفهمه على حقيقته وإعلان هذه الحقيقة وتقويمها كما هي دون ماخوف أو مسايرة أو تردد، والغوص إلى أعماق التراث الروحي العقلي الأوربي وفهمه، والتفاعل معه"[٢]

إن يوسف الخال يرى أن في التراث العربي جزءاً ميتاً، وجزءاً لا يموت وإن كان يميل إلى الدعوة إلى تجاوز هذه التراث والتفاعل مع التراث الأوربي، لأن الخوف والمسايرة والتردد لا تكون إلا أمام الجانب السلبي، أي أن هذا التراث للاستمرار في الحياة .أما عندما يتحدث عن التراث الأوربي، فهو يدعو إلى التفاعل معه وفهمه والاستفادة منه دون تردد. إننا نعيش في عالم حديث شئنا أم أبينا والحداثة مطلوبة في كل شيء، على أن تكون محكومة بمنطق وجودنا، لا بمجرد المجاراة ومحاكاة الآخرين، فنحن نريد حداثة عربية لا حداثة غربية، وهذا ما غاب عن بال يوسف الخال عندما أراد قطع الثقافة العربي عن جذورها، أي الأرضية الخصبة لكل تجديد، والأدب الحي هو الذي ينطلق من الواقع الراهن دون القفز فوق التاريخ العام وتاريخه هو بالذات، ويتكئ على المحلي بهدف تأسيس رؤية تعطيه أبعاداً إنسانية شاملة ومعاصرة. وهو في حركته هذه لا يستطيع الانعزال عن عالمنا المعاصر وقضاياه، ولكنه لا يضيع في بحر ذلك، بل يحاور من مساحته الخاصة، التي يجب أن تبقى واضحة، لأن ذلك هو الطريق الوحيد لبلورة منهج نقدي عربي غير منقطع عن جذوره ولا يعيش في حالة الاغتراب عن حاضره.

وعلى الرغم من وجود آراء نقدية مؤيدة لأدونيس ويوسف الخال على امتداد الساحة العربية، فإن هذه الآراء لم تستطع بلورة منهج نقدي عربي لأنها انطلقت من أرضية غربية، ومن يراجع الكتب النقدية والدوريات العربية المتخصصة في النقد الأدبي التي صدرت في ذلك الحين لما أسهمت مجلة الأدب البيروتية في انتشار الأفكار الوجودية.

رأى صورة مغايرة للصورة التي يقدمها أنصار الحداثة، مع فارق في الدرجة. وبدا وكأن النقاد العرب عاجزون عن الهضم والتمثل والاستيعاب ومن ثم الإنتاج بأدوات محلية.

[١] أدونيس، الثابت والمتحول، صدمة الحداثة، بيروت، دار العودة، ط ٤، ١٩٨٤، ص ٢٥٨
[٢] عن شكري عياد، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، ص ٦٣

فما أن يصدر كتاب جديد في أوربة يدعو إلى مذهب ما حتى يسارع النقاد العرب إلى تبني أفكاره وتطبيقها بصورة متعسفة أحياناً على الأدب العربي.

وهكذا ما إن ظهر النقد البنيوي حتى دعا إليه بعض النقاد العرب وطالبوا بتطبيقه على الدراسات العربية متناسبين أن لكل نص أدبي خصوصية ترتبط بالحياة العقلية والثقافية والنفسية للأمة التي أُنتج فيها هذا النص. والغريب في الأمر أن الدراسات البنيوية مستمرة عندنا في حين أنها انتهت في أوربة منذ السبعينات. وهكذا أصبحنا ملوكاً أكثر من الملوك الحقيقيين. إن دل هذا على شيء فإنه يدل على اصطراب المفاهيم وقصورها والفوضى التي تعم ترجماتها واستعمالاتها؛ والطابع التطبيقي والسطحي التي تتسم به أحياناً، وهذا نتيجة طبيعية لعامل الغياب النظري والمعرفي المواكب. ومن مظاهر الفوضى التي تعم الحركة النقدية العربية هذا الكم الهائل من المصطلحات النقدية التي لا يربط بينها رابط، وتستخدم بصورة عشوائية وذلك بسبب نقل المناهج النقدية الأوربية مع مصطلحاتها، دون الفهم الدقيق أحياناً لمعنى هذه المصطلحات، وقد تستخدم في غير مواقعها.[١] ويكمن الخطر هنا في أننا أصبحنا نستهلك الاتجاهات الفكرية والمذاهب النقدية كما نستهلك السلع الغربية دون أن نفكر في قيمتها وجدواها والوقت المناسب لاستخدامها.

إن المناهج النقدية الأوربية فرضتها ظروف محددة عاشتها تلك المجتمعات، لأن كل تغير في مجال الفكر والفن لا يحدث بمعزل عن القوى الأخرى الفعالة في المجتمع. ولذلك كانت ولادة هذه المناهج وتطورها يحدث بصورة طبيعية. أما عندما عمدنا إلى نقل هذه الاتجاهات النقدية الجديدة دون تأمين الوسط المناسب، فإننا نكون قد حكمنا عليها بالموت سلفاً مثلها في ذلك كمثل نبتة لا تعيش إلا في المناطق الاستوائية أو المدارية مثلاً وتنقل إلى خارج موطنها الأصلي دون تأمين الظروف المناسبة لاستمرارها في الحياة.

والمشكلة أن النقد العربي المعاصر لا يستطع التخلص من هذه الإشكاليات التي عانى منها النقد العربي الحديث منذ مطلع عصر النهضة على الرغم من بعض الدراسات المتميزة التي يقوم بها بعض النقاد العرب مثل شكري عيّاد ومصطفى ناصف وجابر عصفور ووهب رومية وغيرهم، لا بل إن بعضهم ينظر بعين التقديس إلى كل ما يصدر

[١] انظر خلدون الشمعة، إشكالية المصطلح في النقد العربي الحديث، الفكر العربي، عدد / ١، ١٩٧٨، ص ٩٨، انظر أيضاً لقاء مع د. محمد مصطفى بدوي أجراه الدكتور عبد النبي اصطيف، المعرفة، دمشق، عدد / ١٩٣ ـ ١٩٤، ١٩٧٨، ص ٩٠، ٩١

عن النقاد الغربيين. يكفي أن ننظر إلى مقالة الدكتور حسن سحلول في مجلة المعرفة السورية للتأكيد من حالة الاستلاب التي يعاني منها النقد العربي المعاصر، إذ يذكر أكثر من ثلاثين اسماً لنقاد غربيين في صفحات قليلة. يقول: "وأما ما إن ظهر النقد البنيوي حتى دعا إليه بعض النقاد العرب وطالبوا بتطبيقه على الدراسات الأدبية العربية!! والغريب في الأمر أن الدراسات البنيوية مستمرة عندنا في حين أنها انتهت في أوروبا منذ السبعينيات.

نظرية إيزير بخصوص القارئ الضمني فقد نشرها عام ١٩٧٦. وإذ كان جوس يدرس أبعاد التلقي التاريخية راح إيزير يهتم بأثر النص على قارئ محدد، ويرى إيزير.. إن وجهة نظر الإيطالي إمبرتوايكو.. شديد القرب من نموذج إيزير."[١]

وفي مقالة أخرى نشرها الدكتور ميشال سليمان[٢] في مجلة الفكر الكويتية يتحدث عن الشعر العربي الحديث ولكنه بدلاً من أن يستشهد بنماذج من الشعر العربي الحديث نراه يستشهد بنماذج من الشعر الغربي، لا بل إنه لم يذكر أي شاهد عربي.

إننا نظن أن النقد العربي الحديث بعيد عن الموضوعية وعن المنهج العلمي الدقيق، وذلك لأنه لم يستطع تطوير النقد العربي القديم ولا أن يتمثل مناهج النقدية الغربية الحديثة، ولا أن يخلق منهجاً نقدياً عربياً جديداً، يستمد خصوصيته من خصوصية علاقته بواقعية، دون أن ينقطع عن المناهج النقدية العالمية. يقول الدكتور شكري عيّاد: "ونحن نعترف دائماً بأننا لن نستطيع فهم القديم ـ كما يتاح لنا فهمه اليوم ـ إلا إذا نظرنا إليه بعيون معاصرة، ولا يقتصر ذلك على الوعي بمشكلات الحاضر ومطالبه، ولكنه يتضمن استخدام وسائل الفكر المعاصر أيضاً."[٣]

هذه هي المعادلة الصعبة التي يجب على النقد العربي الحديث أن يواجهها إذا أراد أن يحاور النقد العالمي ويغنيه. إن القاعدة الأساسية للسير بهذا النقد في الاتجاه الصحيح موجودة وذلك بفضل جيل الرواد من النقاد العرب في العصر الحديث الذين جمعوا بين الأصالة والمعاصرة، وما علينا إلا تطوير هذه القاعدة للوصول بها إلى المستوى المنشود من أجل بلورة منهج نقدي عربي. ولن يكتب لهذا المنهج النجاح إلا إذا جمع بين التراث العربي النقدي والمناهج النقدية الحديثة.

---

[١] حسن سحلول، مشكلة القراءة والتأويل في النص الأدبي، المعرفة، دمشق، عدد / ٣٨٤، ١٩٩٥ ص ١٧٤

[٢] ميشال سليمان، ملامح جديدة في الشعر الحديث، عدد / ١، ١٩٧٨، ص ٨٨

[٣] شكري عياد، اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، ١٩٨٨، ص ٦